

د. حمزة بن فايع آل فتحي




بسم الله الرحمن الرحيم



قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : (لا تَصغُرنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعدَ عن المكرمات من صغرِ الهمم) .

أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٣١٩

قال الإمامُ ابن القيم رحمه الله : (والهمةُ فعلة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمَّة نهايتها) .

****

(مدارج السالكين ٣/ ٥)

قال الراغبُ الأصفهاني رحمه الله: (والكبير الهمة على الإطلاق: هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبد رعاية بطنه، وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة).

(الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٩١)

****

الطُّموحُ هو : السعيُ إلى تحقيق الأهداف والغايات، ومغالبةُ المصاعب لنيل الأمنيات.. وقال ابو القاسم الشابي: أُبارِكُ في الناس أهلَ الطموحِ ... ومَنْ يستلذُّ ركوبَ الخطرْ..!

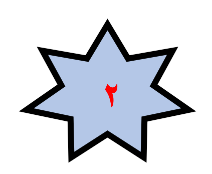
****



الفهرس







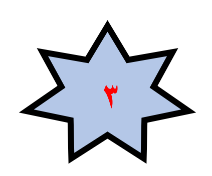




حمدًا للهِ على أفضاله، وشكرًا له إنعامه وأنواله ، علمنا القرآن ، وألهمنا البيان، وأفاضَ علينا من معاني الحكمة والبرهان ، وأصلي وأسلمُ على المبعوث بالذكرِ والتبيان، والخير والإحسان ، صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبه أجمعين....

أما بعد :

فيكاد يجمعُ النقاد والأدباء وكلُّ متذوقي الشعر أنّ ديوان المتنبي يسطع بالشموخ وعلو الهمة، علاوة على ما فيه من حكمةٍ ونغمة ، فلقد عرف الشاعر بالزهو والكبرياء والسطوع وحب الظهور ، وتضخم الذات والافتخار ، وأسهمَ في ذلك مع تمكنه الشعري علاقتُه بسيف الدولة الحمداني، والصراع العسكري القائم، الذي جسده شاعرًا مقدامًا ، ذَا بطش وفروسية ، وكثرة ما يحوط به من الحساد وتفوقه على الأقران ، واستعداؤه الناس بشعره، وفي مضامين ذلك، ومن ركائزها سطوع همته، وتحديه العوائق والمضايق...!



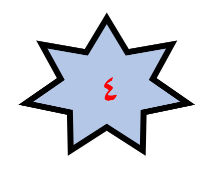


يقول مثلًا الشريف الرضي :

(أما أبو تمام فخطيبُ منبر، وأما البحتري فواصفُ جؤذر، وأما أبو الطيب المتنبي فقائدُ عسكر) .

هذا توصيف في محله فغالب جياده ومحاسنه كالسيفيات وأخواتها يهيجُ فيها عسكريا ، ويتدفقُ فروسيةً، ويُكثر من تسمية الآلات العسكرية ، ووصف القادة وبطولاتهم... وكلُّ ذلك يتطلب عزيمةً في المادح ، وهمةً في الممدوح ، وهو ما اتسم به في غالب موضوعاته ، فإن لم يشهد بهمة الممدوح وعلائه ، نبه على همته وإقدامه في وحول الحياةِ...!

ولكثرتها وروعتها وجمال ما فيها من معانٍ وتراكيب، أحببنا جمعها والتعليق عليها ، نظير ما صُنع في (المسامرات) و (المفاز الادبي)، حتى يتحفظها الشبابُ وطلاب العلم، فتعلي من هممهم ، وتشحذ عزماتهم، وتوقظ ضمائرهم، فيمجوا حياة الكسل والهوان ، وطرائق التراخي والحرمان ...!



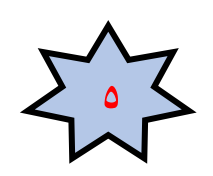


فلقد حرمَ وهاءُ الهمة كثيرًا من الناس معاليَ ونفائس ، وأحبطهم عن مكارمَ وإنجازات ، وجعلهم يعيشون عيشة المستذل المستباح ، ويبيتون بيتوتة المبتذل .

ولعلاج ذلك قراءة القرآن حقَّ قراءته ، ومجاهدة لنفس ومطالعة السير ، وتحفظ أبيات الهمة واستطعامها روحًا وحسا ، فإن للشعر أثره ودوره ومغناطيسه الجذاب.... يقول معاوية رضي الله عنه : (علّموا أولادَكم الشِّعرَ فإنّي أدركتُ الخِلافةَ ، ونلتُ الرئاسةَ ووصلتُ إلى هذه المنزلةِ بأبياتِ ابنِ الإطنابةِ، فإنني يومَ الهرير كُلّما عزمتُ على الفِرارِ أنشدتُ قولَه : أبَتْ لي عِفّتي وأبى بَلائي ... وأخْذي الحمدَ بالثَّمنِ الرّبيحِ

وقولي كُلّما جشَأَتْ وجاشَتْ ** مكانَكِ تُحْمَدي أو تَسْتَريحي

وقال الزبير بن بكار: سمعت العمري يقول: (روُّوا أولادكم الشعر، فإنه يحل عقدة اللسان، ويشجع قلب الجبان، ويطلق يد البخيل، ويحض على الخلق الجميل).



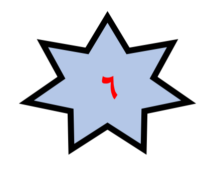


وشعر الهمم العاليات يعالج ضعفا في النفس ، وتقاعسا في السلوك ، وخواءً في الفكر ، ويحدثُ شعورا داخليا بضرورة التغيير والتهذيب النفسي والسلوكي .

واذا اجتمع مع ذلك الروعة البيانية ، واللمسة البلاغية كان أجملَ وأحكم.

وهو ما تلامسه في شعر المتنبي وقدرته الفائقة على الجزالة والتوصيف، بحيث بات شعرًا سيّارا ، وأدبًا مرويًا ، وحكمًا متداولة ، تتسابقها الأجيال ، ويتوارثها الأدباء.

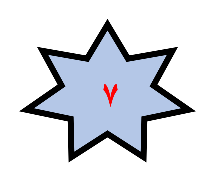
- ومن هنا كان أدبُ الهمة والطموح من أخصبِ الموضوعات الشعرية ، وكثيرٌ منه يتداخل في "موضوع الحماسة " وقد جردت في كتب مشهورة..! ورغبنا تجريده من الديوان الذهبي للمتنبي، لا سيما وقد احتفت به راياتُ الجمال ، ومعالمُ الإبداع والابتكار ، ولم يكتب في الهمة إلا قصصا وحِكمـًا، فاحببنا إيرادها شعرًا، ومن أحسنِ الدواوين ، وأكثرها ذيوعًا وانتشارًا ، ديوان أبي الطيب ، والذي لا يزال علامةً مفصليةً





في الآداب العربية ، وهنيئا لمن عكف عليها وتعلم معانيه ، واستقوى بألفاظه وجزالتها ...

- فقد أُلينَ له الشعرُ ، وذُلِّلت له جواهرُ البيان ، وأوتيَ من فرائد الحكمةِ ما لم يحصله سواه، فاندفع الناسُ الى شعره، وهُرعوا إلى لطائفه ، وقيدوا محاسنه، وتحفظوا بدائعه ، فلا يحصى كم مِن شارحٍ له ومتعقِّب ، أو معجب به ومتعصب، أو ساخر منه ومتحبب..! فهو مالئ الدنيا، وشاغل الناس ، كما قال ابن رشيق القيرواني، وزد عليها : صانع الجمالِ ، ومكنونات النفس ، بما أفرزه من الحكم النادرة ، والأشعار السيارة..
- ولعل من ذلك الجزل المستحسن من شعر الهمة والطموح. وهو ما نحب إبرازه هنا، والوقوف على أكثرِ ما نظَمَ فيها ودبَّج، وما شعُر فيها ونمّق ..!
- فيا للهِ كم في شعره من سِحرٍ وجاذبية، وفي طياته من لُمَع وطرائفية، وفي أساليبه من تحفٍ روائِية، ترسخُ في الذهن، وتُنشدُ في المحافل ، وترنّ في السلوك الإنساني ، ويُحتكمُ لها في الأسفار والعلائق .



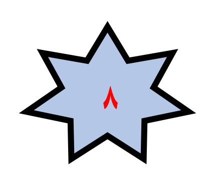


وأستذكر نبوءته هنا وتوقعه حول شعره، والنظرة الاستراتيجية للجمال المحتفّ، وقد أذعن له جمهرة عصره :

وَمَا الدّهْرُ إلاّ مِنْ رُواةِ قَصائِدي ** إذا قُلتُ شِعراً أَصْبَحَ الدّهرُ مُنشِدَا

فَسَارَ بهِ مَنْ لا يَسيرُ مُشَمِّراً ** وَغَنّى بهِ مَنْ لا يُغَنّي مُغَرِّدَا

وهنا : جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يُتقلَّد بها، ويتزين بها في المجالس يقول: إن الدهر من رواة شعري؛ لأن الناس جميعًا يروونه ويتناشدونه في كل وقت، فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعري، ويروى بدل قلائدي: قصائدي....! ويزعم: إن شعره يُنشِّط الكسلان إذا سمعه، فيسير على سماع شعري مجدًّا مشيحًا، بحيث ينغص الروح ، ويحرك الهمم ، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب وغنَّى به مغردًا، والمراد أن شعره سار في الآفاق حتى لم يبقَ من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر.... وهذه باتت حقيقة في الواقع الثقافي والاجتماعي .





ثم يقول :

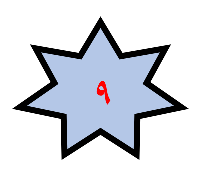
أجِـزْني إذا أُنْشِـدْتَ شِـعراً فإنّمَـا ** بِشِـعري أتَـاكَ المـادِحونَ مُـرَدَّدَا

وَدَعْ كلّ صَوْتٍ غَيرَ صَوْتي فإنّني ** أنَا الطّائِرُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصّدَى

يقول: لا تحفل بشعر غير شعري، فإن شعري هو الأصل، وغيري كالصدى له، ولا ينكرُ انتفاعُ الشعراء بشعره واستفادتهم من أساليبه ولغته ومفرداته ..

وقد كتب الدكتور خالد الكركي كتابًا جيدًا أسماه (الصائح المحكي) صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث...من نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر (١٩٩٩)م .

- حيث يقدم لنا المؤلف قراءةً لصورة المتنبي في الشعر العربي الحديث، ويبدأ الكتاب بالحديث عن أثر المتنبي بين إيقاعي المحمودين الكبيرين: محمود سامي البارودي ومحمود درويش.
- ووصفه بأنه دنيا من الكبر والعجب والقلق والغضب، وفي وصف الكركي للمتنبي تستمتعُ بتلك اللغة الأدبية وتلك الأوصاف المأخوذة من شعر



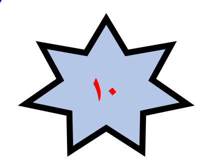


المتنبي لنفسه مكتوبة على هيئة نثر جميل، يقف الكركي عند كلمة أمير العرب التي يصف بها المتنبي سيف الدولة

فَهِمْتُ الكتابَ، أبَرَّ الكُتُبْ ** فَسَمْعًا لأمرِ أميرِ العربْ

**

- ويعترف الكركي بأنه يشعر برعشة الذعر الجميل التي تسري في عروق الكتابة عندما يكتب عن المتنبي، معتذراً عن جرأته، وهو يتحدث عن المتنبي المولع بالحرب والليل والخيل، المتحيز للسيف والصحراء، الممتدة قامتُه من ذرى النخيل إلى الهدف الذي جل أن يُسمى، الكبير والقلق والممتطي برق الغمام، يريد المتنبي أن يكون الشاعر الأوحد وأن نلغي من سواه، يريدنا المتنبي أن نراه وسط معركة "تطاعن خيلاً من فوارسها الدهر" وأحيانا "وحِيداً؛ ومَا قَوْلِي كَذا! وَمَعِي الصَّبْرُ...!
- وخلاصةُ الدراسةِ تروم تأكيد حضور المتنبي في حركة الشعر العربي الحديث ووجود من يحاكيه ويتأثر به، وهو حضور يلمسه الكركي في أربعة أبعاد، شرحها في الدراسة المعنية ..!





ملخصها في محاكاته بناءً وايقاعا، وكونه رمزًا بطلًا ، وتجارب ومعاناة...!

وقد كنت نعتُّ هذا المجموع الأدبي "الهمة والطموح في شعر المتنبي" ، ثم عدلت عن ذلك الى لفظةٍ مختارة من شعره ، سيقت في الهمة والإباء وهي (خفق البنود) في قوله الرائع الماتع :

عِشْ عزيزًا أو متْ وأنتَ كريمٌ ** بين طعن القنا وخفق البنودِ

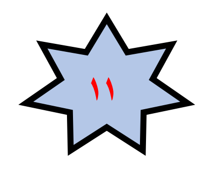
**

وهنا تعني كثرةَ الرايات واضطرابها في المعارك الملتهبة ، ولم تكن الهمة في شعره إلا جزءا من ذلك الالتهاب العسكري الذي يعيشه مع أعداء الحروب، أو خصوم الدروب...!

فناسب وراقَ لي ذلك العنوان، الذي يكشفُ سره من شعره، ويعبر عن أدبهِ من فكره ولفظه ، والله الموفق .

محايل عسير

١٣/ ٨/ ١٤٤٠هـ





١/ طلبُ المعالي:

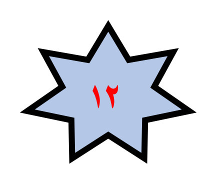
إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ ** فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجومِ

ـــــــــــــ**ـــــــــــــ

إذا شعّت لك المعالي ، ولاحَت لوائحُها، فاسلُك أعاليها وتطلبَ نجومها ، ولا تقنع بما دون ذلك، مما لا يهواه إلا أفذاذُ الخلائق، ولا يسعى فيه إلا الطامحون ..! فإن ذلك مما يُحمد ، ويشاد به ويفتخر ، واكسِر المصاعبَ دونه، وتجاوز المشاق، واعلمْ أن طعمَ الموت واحد ، فطعمُه في المحقراتِ كطعمه في عظائم الأمور ... فطعمُ الموت في أمر حقيرٍ... كطعمِ الموتِ في أمر عظيمِ...!

ـــــــــــــ**ـــــــــــــ

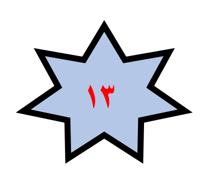
والموت لا يأتي غالبًا إلا الجبناء المختبئون ، كما قال أبو بكر في نصحه لخالد رضي الله عنه :(اطلب الموتَ توهب لك الحياة).





❖ فـلا تـتـردد في الانطـلاق السـلوكي ، أو تتعثـر وتتخـوف، فالنهايـةُ واحـدة ، وعشْ دائما في إباءٍ وارتقاء ، وتعشقِ السمو والعلاء ، فما أفلحَ إلا السامون المتطلعون ...! ومن المقامات الشـريفة طلـب العلـم، والتفـوق العلمـي، والتميــز الــوظيفي والــدفاع عــن الأمــة والــوطن ، وصــد المعتــدين ، والإنجازات الحضارية التي يتفاخر بها على الدوام .

***





٢/ المجدُ الحقيقي والمزيف:

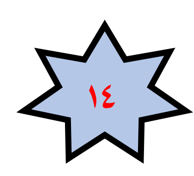
ولا تَحْسَبَنّ المَجْدَ زِقّا وقَيْنَةً ** فما المَجدُ إلاّ السّيفُ والفتكةُ البِكرُ

ــــــــــــ**ــــــــــــ

كم من أناسٍ صوروا المجدَ في لهو ولعب، وطغيان مالي ترفي ، وتلاعب في الدنيا بلا حسبانٍ ، فيردُّ عليهم بأنّ تعريفَ المجد الحقيقي هو حملان السيف وردع المعتدين ، والجهاد المحمود، الذي ينصرُ حقًا ، ويدفع ظلما كما هو في الحس الإسلامي...فما المجدُ إلا السيفُ والفتكة البِكرُ..: أي الضربُ بالسيوف ، ضربات جدد لم تعرف من قبل، بأسًا وافتراسًا .

ــــــــــــ**ــــــــــــ

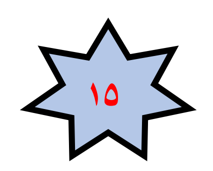
❖ ثم يقولُ مجليًا ذلك : وتَضريبُ أعناقِ المُلوكِ وأن تُرَى...لكَ الهَبَواتُ السّودُ والعسكرُ المَجْرُ.. أي نزالٌ وتحركٌ بجيشٍ كبير ، يثير الغبار ، ويُحدثُ الرعب في قلوب المعتدين. والهبوات: جمع هبوة، وهي الغبرةُ العظيمة. والمَجر: الجيش الكثير، وأن ترى لك الهبوات السود: أي أن تثير الغبار بحوافر الخيل قوةً، وعدةً ، واستبسالاً...





❖ بحيث تسمعُ الدنيا به وبإنجازاتك العظام.. وترْكُكَ في الدّنْيا دَوِيّـًا كأنّما.. تَداوَلَ سَمْعَ المَرْءِ أنْمُلُهُ العَشرُ..! يقول: وأن تترك في الدنيا جلبةً وصياحًا عظيمًا؛ جلبة المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام، كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول، إذا أنأى واحدة أدنى أخرى؛ وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجًا وجلبة، كنايةً عن المجدِ المتين، والشرف الكبير .

❋❋





٣/ الهمةُ الشريفة :

وأشرفُهم مَن كان أشرفَ همةٍ ** وأكثرَ إقداماً على كل مُعظمِ

ــــــــــــــ

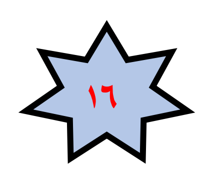
ليس الشرفُ بالأحساب والأنساب ، ولكنه بشرفِ الهمة وارتقائها ، وبالإقدام على العزائمِ والعظائم والمخاطر ...! وليس يصنعه إلا ذوو الهمم، وأرباب العزمات الشوامخ..

❖ وليس ينفعُ الجاهُ مع ارتخاء ، ولا نسبٍ بلا علاء ، ولا مالٌ بلا إقدام واستعلاء ..! لأنَّ فضلاء الناس لا تعظمُ مكانتُهم إلا باقتحام الغمَرات ، وسيرِهم في الصحراوات ، وضربِهم في كل المجالات . وربما صدق عليه الحديث النبوي : (ومن بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبُه).

ـــــــ**ـــــــ

❖ فكما لا ينفعُ النسبُ في الآخرة ، لن ينفع كذلك في الدنيا إذا انحطت الهمم، ولانت التطلعات، واختفى الطموح الميمون، والله الموفق ..!

ـــــــ**ـــــــ





٤/ الفؤادُ الملكي:

وَفُؤادي مِنَ المُلوكِ وَإِن كانَ ** لِساني يُرى مِنَ الشُعَراءِ

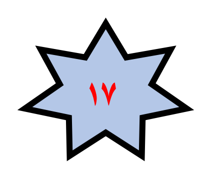
ـــــــــــ**ـــــــــــ

يقصدً علوَّ همته، وطلب المعالي ، لأنّ الملوك والزعماء من عاداتهم طلبُ العلو ، والحرصُ على الأمجاد ، وتحقيقُ الإنجازات المعتبرة...! فيقول : أنا مثلهم في تلك الهمة وتدفقها، ولدي طموحهم، وأسعى سعيهم ، وإنْ كان لساني الظاهر شعرًا وأدبًا وبيانًا ...

ـــــــــــ**ـــــــــــ

❖ وقد كان هو مفتونًا بطلب الإمارة ، وألمحَ للقادة الذين قابلهم لبعض أبياته ، ولكنهم لم يقتنعوا به ، أو خشَوا منه، أو من عدم قدرته، لأنَّ الشعرَ الجزل ، ليس كالحكمِ الفصل، وللقيادة شروطها وإمكاناتها، والله الموفق.

ـــــــــــ**ـــــــــــ





٥/ المكانُ العزيز :

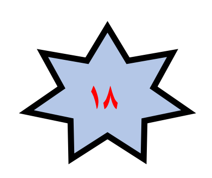
أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ ** وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ

ـــــــــــ**ـــــــــــ

من يرومُ الأمكنة العزيزة ، والمراتبَ المنيفة، فعليه إصلاحُ حالتين من حاله وحال أمته : التفننُ العسكري، والقوة العلمية ، والعملُ على التفرد في التصنيع العسكري والإنتاج العلمي ومنه الكتاب ودرسه، وهما ركنا الحضارة والنهضة، وسرجُ السابح وهو الفرس العداء السريع ، والكتاب المتين علما وفكرًا ...

ـــــــــــ**ـــــــــــ

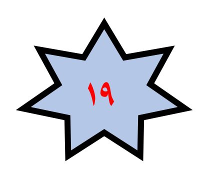
❖ وهما الطريقُ لنيل المعالي ، وقهرِ الأعداء ، وحمايةِ البلدان ، والتعزز الذاتي، والقوةِ الإنتاجية ...! ومن القدم ، فإن الأمم لا تهابُ إلا صاحبَ القوة القتالية ، والتميز العلمي، وهنا سببُ التفوق والإبداع، وتحقيق المكانة اللائقة ، وفي القرآن: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وفي





السابق خيلٌ وسيف، واليوم طائرةٌ وصاروخ ، وعلمٌ وتصنيع وما قصّرت أمةٌ في هذين الجانبين من البناء الحضاري، إلا سُلِّط عليها الذلُّ، وامتهنتها الأممُ الأخرى ، وكانت محلَّ التهامِهم وتخمتِهم، والسلام .

❊❊





٦/ النفوسُ الآنفة :

وإنّي لَمِنْ قَوْمٍ كأنّ نُفُوسَهُمْ ** بها أَنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا

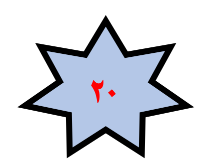
ـــــــ**ـــــــ

أنفةُ النفوسِ الحقيقية في جدّها واجتهادها ، وطلبها النفائس ، وترفّعها عن الصغائر والدناءات، ولذلك قومي يَتوْقون للحروب والتضحيات ، حتى إنّ نفوسهم لا تبالي بالمنايا ، وتعشق الشهادة لو تمت لها، فقد أنفت أن تسكنَ العظم واللحما....

ـــــــ**ـــــــ

❖ وفيه ما في قومه من العزة وعلو الهمة ، فيقول : كذا أَنَا يا دُنْيا إذا شِئْتِ فاذْهَبي... ويا نَفسِ زيدي في كرائهِها قُدْمَا..! أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيمًا ولا أسف لدنية، فاذهبي عني إن شئت فلست أبالي بك. ويا نفس زيدي قدمًا — أي تقدمًا — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها .

ـــــــ**ـــــــ





❖ ويزيد إيغالاً في أنفته وعلو همته بقوله : فلا عَبَرَتْ بي ساعَةٌ لا تُعِزّني... ولا صَحِبَتْني مُهجَةٌ تقبلُ الظُّلْمَا...! والمعنى : يقول: لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزًا، ولا صحبتني نفس تقبل أن يظلمها أحد، فأنا عزيز في كل أوقاتي ومواقفي، ولا بوركت نفس لا تحمل هذا المعنى .

وفيها أيضًا:

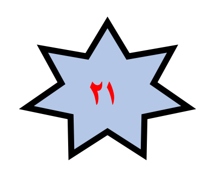
تَغَرَّبَ لا مُستَعظِمًا غَيرَ نَفسِهِ ** وَلا قــابِلاً إِلّا لِخالِقِـهِ حُكمـا

وَلا سـالِكًا إِلّا فُـؤادَ عَجاجَةٍ ** وَلا واجِـداً إِلّا لِمَكرُمَـةٍ طَعمـا

يَقولونَ لي ما أَنتَ في كُلِّ بَلدَةٍ ** وَما تَبتَغي ما أَبتَغي جَلَّ أَن يُسمى

❖ فهو لا يخضع إلا لله، ولا يستطعم إلا طعم المكارم فهي بغيته، وكثرة أسفاري علامة همتي وطلبي ما لا يكاد أن يسمى لعلوه وخطورته ، والسلام .

——**——





٧/ العلا الخاطف:

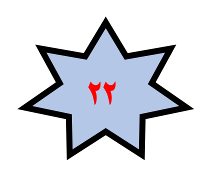
لَوْلا العُلا لم تجُبْ بي ما أجوبُ بهَا ** وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيْدودُ

تَخطَّفه العلا والمُرتقى المُنيف، حتى إنه التحفَ الأسفارَ ، ودوام الترحال ، فلا يرى إلا مسافرًا ، ورحالةً ، قد امتطى صهوة الجواد ، أو حِلس الناقة، يقطع بها الفيافي والقفار..! والسببُ حبه المعالي، وهيامه بالمراقي، وكراهيته القعود والتواني ...

**

❖ وهمةٌ تعلوه بهذ الشكل ستبلِّغه المرام، ولن تدعَ للراحة في نفسه موضعًا، بل هي راحتُه وأنسُهُ وعافيته...! ولذلك هو في إكلال دائمٍ للفرس والدابة، يحركهما كيف يشاء . والوجناء هي الناقة الشديدة ، والجرداء هي الفرسُ الطويلة والقصيرة الشعر ، .. والله الموفق .

**





٨/ مراسُ الآفات:

تمرستُ بالآفات حتى تركتُها . ** تقول أمات الموتُ أم ذُعر الذعرُ

**

لا تُعرفُ الحياةُ إلا بالممارسة ، ولا تكشفُ الهممُ إلا بالتجارب ، فهي تُبتلى وتُفحص ، فإذا جازت العقبة ، أفلحت ونجحت ، وإن تقاعست بانت وهانت...! ولذلك هو لمراسِه الشديد، وخبرته الطويلة ، هانت عليه المخاطر والآفات ، ولم يعد يبالي بما يلاقي من تحديات ..! تقول أمات الموت أم ذُعرَ الذعرُ...؟!

**

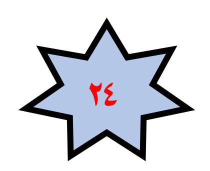
يقول: تمرست بالآفات في الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتي، وتجلدي لها، وقالت: هل مات الموت إذ لم يصب هذا المتمرس بي، أو خافت المخاوف فلا تخيفه؟ فكأنه لسلامته الدائم ، وكفاحه المتوالي قد مات موته، أو ذعر الخوف ، ولم يعد يعرض له. وهذا من أبلغ الوصف في قوة الإرادة وعلو الهمة، ومجاسرة الأخطار ... ثم يختم الفكرة بقوله العجيب :



وأقْدَمْتُ إقْدامَ الأتيّ كأنّ لي ** سوَى مُهجَتي أو كان لي عندها وِتْرُ

❖ والمعنى : أقدمتُ على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذي لا يرده شيء فهو دفاق جارف ، حتى كأن لي سوى نفسي نفسًا أخرى إن ذهبت نفسي كانت لي بدلًا، أو كأن لي ثأرًا عند نفسي فأنا أريد إهلاكها، وهذا تصوير قليل الشيوع فيه براعة فذة .

______**______





٩/ هماتُ القلب:

فتًى لا يضُمّ القلبُ هِمّاتِ قَلبِهِ ** ولَوْ ضَمّها قَلْبٌ لمَا ضَمّهُ صَدرُ

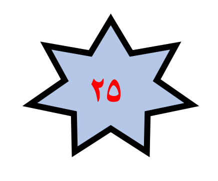
**

همتُه واسعةٌ حتى إنها لتتعددُ، فيشقُّ على القلب حملُها لكثرتها أو لاتساع مداها، لذلك هو في صراع معها، لا تجعله في راحة ولا هدوء من طلباتها وغاياتها ، مما تجعله مقدَّمًا بين الناس، ورأسًا في الأمور ، وملاذًا في حلّ المعضلات ..!

**

❖ فما توافر في قلبه من الهمم لا يجمعه قلبُ غيره، ولو ضمها قلبُ أحد لكان عظيمًا مثلها، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب، وهذا نادر في الناس، ويعز كثيرًا ، ولا يكاد يحمله إلا القلة القليلة..

❖ ومع ذلك لو شابهه بعضُ الناس في سَعة همم القلب، لما تحملت صدورهم أطماعَ قلوبهم ، ولكن مثلَه يحتمل لتوفيق الله له، ولما لديه من القوى الكامنة لمثل ذلك... كما قال مثلًا في ممدوحه :





فيَوْمـًا بخَيْلٍ تَطْرُدُ الرّومَ عنهُمُ ** وَيَوْمـًا بجُـودٍ تطـرُدُ الفقـرَ وَالجَـدْبَا

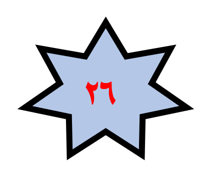
وقوله الآخر وهو بكر بن النطاح :

لَـهُ هِـمَـمٌ لا مُنتَهـى لِكِبارِهـا ** وَهِمَّتُهُ الصُـغرى أَجَلُّ مِـنَ الـدَهرِ

لَهُ راحَةٌ لَو أَنَّ مِعشارَ جودِها ** عَلى البرِّ صارَ البرُّ أَندى مِنَ البَحرِ

والله الموفق .

______**______





١٠/ الحِسانُ الشاغلة:

شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسانُ المَعالي ** عَنْ حِسانِ الوُجوهِ والأعجازِ

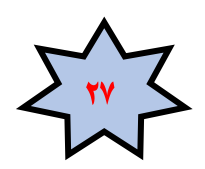
**

في الحياةِ محاسنُ مختلفة يتشوفها الناسُ ،كالمال أو النساء أو المناصب، أو العلمِ والمراقي المنيفة.. ولكنَّ صاحبَنا هذا اشتغل بالمعالي الحقيقية من الشجاعة والإقدام ونفع الناس، ولذلك هو في شغلٌ عن مطالعة النساء ومغازلتهن بمعال حقيقية، ومقاصد عالية، ..!

**

❖ ومن ربّى نفسَه على هذا المنوال، هانت عنده محاسنُ النساء ، وبريقُ المال، ومفاتنُ الحدائق ، وبات لا يلقي لها بالًا ، ولا يرفع بها رأسًا..! ولو استطعنا تربية الأبناء والناشئة على ذلك من مهد الطفولة بدءا بالصلاة، والتعلق بالقرآن ومعالم السيرة ، لخرج لنا جيلٌ عالي الهمة، طامحُ الطرف، ملتهبُ العزيمة، همه نفع بلاده، وتجديد أمجاد أمته، والسلام .

**





١١/ خوضُ المنايا :□

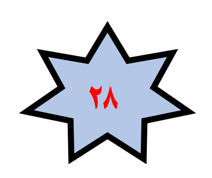
إذا اعتـادَ الفَتـى خـوْضَ المَنايـا ** فأهْوَنُ ما يَمُـرّ بـهِ الوُحُـولُ

___**___

المتمرسُ لشدائدِ الحياة والخائض لمهالكِها الماحقة ، لم يعدْ يبالي بأخواتها وشبيهاتها ، لا سيما وهو يلوكُ شِدادها الصعاب، وغلاظَها الجِسام ، ولذلك تهونُ عنده المعوِّقات في حياته ، وفي سفره وترحاله كالوحول ، المتبقية من أثر الأمطار ، لأنه قاطعٌ لما هو أشدُّ منها ...!

___**___

❖ فطَلّاب المنايا ، لا تُرهِقه الهموم، ولا تربصُ الأخطار ، ولا كيدُ الأعادي ، ولا ينبتُ له خوفٌ في طريق، ولا غمٌّ في مسيرة ، لأنـه بطبيعتـه يجاهـدُ فيمـا هو أقسى ، ويجالدُ ما هو أعتى ، ولذلك تغشاه السكينةُ ، وتخالطه الراحةُ، وتلقاه مبتسمًا ، لا يبالي بكدر ، ولا يعوقه خطـر.... كمـا قـال القائـل : إن كان عندك يا زمانُ بقيّةٌ...ممّا يضامُ بها الكرامُ فهاتِها..





❖ وهذا سببه الشجاعةُ المفرطة ، والإيمانُ بالقضاء والتعلق بالله تعالى ، ودوام الذكر والتوكل على الله تعالى ، وطرح الدنيا وأمانيها، والسلام .

**





١٢/ العزم الحديد:

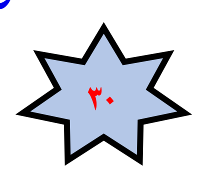
"أرَجَانَ" أيّتُهَا الجِيَادُ فإنّهُ ** عَزْمي الذي يَذَرُ الوَشيجَ مُكَسَّرَا

__________**__________

بلغَ من عزمهِ الحاد، أنه يكسرُ الأشجار ، ويتجاسر الأخطار ، ولا يبالي بما يعرضُ له.. فيخاطب الخيل على وجه التحدي .. اقصدي هذا البلد وهو "أرجان " جهة فارس، ولا يلقين في روعك أن ثم شيئًا يصدك عنه فإنه عزمي القوي الذي يكسر الرماح بقوته؛ ويخترق الشدائدَ ، وصرت غير مبال بالأرزاء والتحديات .

__________**__________

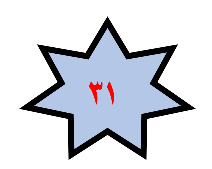
❖ وما ذلك إلا بسبب علو همته ومضاء عزيمته ، ولذلك يقول بعدها: لوْ كُنتُ أفعَلُ ما اشتَهَيتِ فَعَالَهُ...ما شَقّ كَوْكَبُكِ العَجاجَ الأكدَرا.. فهو يراغمُ الخيلَ على الجد والإقدام مع رغبتها في الراحة والسكون.. ولكن لا سكونَ مع همته، ولا ارتياح مع انبلاج عزمهِ، وتدفقه سعيًا وبذلا وترحالا..





❖ ومع فرطِ هذه الهمة لم يعُد يستجب إلا لمن هو مثله أو اعلا منه قدرًا.. حتى إنه أنفَ عطية الزمان، واكتفى بعطاء الممدوح لارتفاعه وشرفه ، فيقول : أعطَى الزّمانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ... وَأرَادَ لي فأرَدْتُ أنْ أتَخَيّرَا...!ولما خيرني في سواك لم أقدمَ عليك أحداً ، لعلمي بعلوّ شأنك ، وسعة أفضالك ..!

**





١٣/ المعالي الشاغلة:

وَلَا شُغِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي ** وَلَا عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ

**

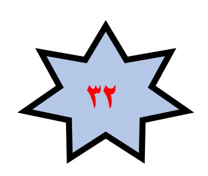
من تمرسَ على طلبِ المعالي لم تُشغله المناعمُ عنها، لا سيما وقد تطلع إلى مرضاة خالقه ، وتعظيم شرائعه ، كحالِ هذا الممدوح الذي هو قائمٌ بحق إلهه ، ولم يلتفت إلى المفاتن ولا المغريات، وعُرف بمقارعةِ الرومان... ولذلك خاطبه لما أذن المؤذن والكأس بين يديه :

**

أَلَا أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِي ** وَلَا لَيَّنْتَ قَلْبًا وَهْوَ قَاسِ

وَلَا شُغِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي ** وَلَا عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ

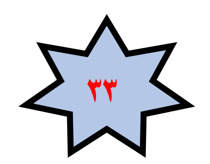
❖ لا سيما إذا افترضنا حسنَ النية ، وأن الكأسَ مشروب غير المعروف عند الشعراء وندمائهم ، لا سيما وسيف الدولة مجاهد اشتغل بالجهاد ونزال الروم في مواطن عديدة ..!





❖ وتلك تتنافى مع حبِّ الإقدام وعلو الهمة والتطلع إلى الانتصارات والإنجازات، لأنها مفسدةٌ للعقل والتوجه والسلوك، واشتهر أنها " أم الخبائث " وفرّقَ امرؤ القيس بين جدها وهزلها بالفصل بينهما فقال لما أخبر بمقتل أبيه حجر الكندي: اليوم خمرٌ وغدًا أمر..!! ولابنِ الوردي في حكمه : واترك الخمرةَ إن كنتَ فتى..كيف يسعى في جنونٍ من عقلْ...! وإلا كان البيتِ بذرةً للتناقض والتزييف الفكري والاجتماعي ، والله المستعان .

ـــــــــــ❊❊ـــــــــــ





١٤/ استصغارُ الدنيا:

ولم نر شيئًا يحملُ العبءَ حملَه ** ويستصغرُ الدنيا ويحمله طِرفُ

ـــــــــــ**ـــــــــــ

ما استصغرَ الدنيا أحدٌ إلا كان عالي الهمة ، زاهدًا فيها، يعدُّ نفسُه لأمورٍ عظام، ويطمحُ للمعالي الجسام ، كهذا الممدوح، الذي يقتحمُ الأهوال ، ويحملُ الشدائد. والعبء يعني : الحِمل الثقيل. والطِرف: الفرسُ الكريم. والمعنى : ما رأينا شخصًا يحملُ المغارم، ومؤن العفاة والحلم والوقار مثل ما يحمله الممدوح. وهو مع ذلك يستصغرُ الدنيا لعظم همته، ومع ذلك يحمله طرف....

ـــــــــــ**ـــــــــــ

❖ وهو لا يزالُ جوادًا معطاءاً، ضروبًا في كل صنوف الخير، قد ازدحم عليه الناسُ ، وأخباره في ذلك ذائعة ، ضاعفت عليه الهم والمهمة.... ومن كثرة الأخبار عن مكرماتهِ ... يمرُّ له صنفٌ، ويأتي له صنفُ.. يُروى بكسر الهمزة وفتحها ، يقول : من كثرة ذكر الممدوح في الآفاق يأتيه صنفٌ من



الناس، ويصدر عنه صنف آخر، ولا يزال لهم موئلًا كريما ، ومصدرًا رحيما.

❖ ومثل هؤلاء النافعين للناس، وقد كثرت خبراتهم ، وعلت هممهم في العطاء ، يتعذر مدحهم اللائق بهم ، فيقول: فواعجبًا مني أحاولُ نعتَه ... وقد فنِيتْ فيه القراطيسُ والصُّحْفُ !يقول: أتعجب من نفسي حيث أطلب استيفاء وصفة في الشعر، والقراطيس، مع أن وصفه يستغرقُ جميع القراطيس والصحف، لكثرةِ فضائله ، وعظمِ محامدهِ ومآثره ...

**





١٥/ الهمةُ السامية:

سَمَوْتَ بهِمّةٍ تَسمُو فتَسْمُو ** فَما تُلْفَى بمَرْتَبَةٍ قَنُوعَا

ــــــــــ**ــــــــــ

هي تلك الهمةُ المتطلعةُ التي لا تقنعُ فتكتفي، ولا تشبع فتمل ، بل لا تزالُ عاليةً طموحةً، تضربُ في كل باب، وترتقي في كل مجال، وتصيبُ كلَّ منال..! وتُلفى هنا بمعنى توجد، أي لا ترضى بمرتبة واحدة أو محددة .

والقناعةُ في المعالي مذمومة ، لأنها علامةُ الانقطاع ، ووضع عصا الترحال، والخلود إلى الراحة ، وأرباب الهمم لا يعرفون الارتياح ، وقد جُبلت نفوسهم على حب التحدي ، ومزاحمة المصاعب ومراغمتها ..!

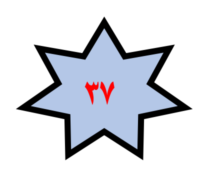
ــــــــــ**ــــــــــ

❖ ولذلك لما ارتقت همتُك، وفاض خيرك، لم يعد يُعرف أحدٌ بالجود معك، فكيف محوتهم ، وصرت عليًا حتى لا يوجدَ رفيعٌ في محلك ومنزلتك، ولذلك قال عقيبها : وهَبْكَ سَمَحتَ حتى لا جَوادٌ...فكَيفَ عَلَوْتَ حتى لا رَفيعَا..



❖ وهـذه نفـوسٌ العطـاء عنـدها أجـلُّ مـن الأخـذ ، لنفاسـة معادنهـا، وطيـب محامـدها، فـإذا جمَّـع النـاس وادخـروا، كـان سـجلهم طافحًـا بالإعطـاء والإكـرام ، ومنفعـة الآخـرين ، وكـان تعـبهم راحـةً، وإكـرامهم سـعادةً، يسـتمتعون بـالجود والسـخاء ، وقضـاء حـوائج الطـالبين والـراجين، والله الموفق .

**





١٦/ الهمة المتعبة:

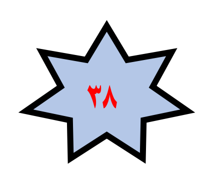
وَأتْعَبُ خَلْقِ الله مَنْ زَادَ هَمُّهُ ❋❋ وَقَصّرَ عَمّا تَشتَهي النّفسُ وَجدُهُ

❋❋

هي تلك الهمةُ التي تنأى بصاحبها ، وتأخذه للمعالي والأبعاد ، فكلُّ ذي همةٍ فهو غالبا طمَّاح شغِف، يسيحُ سياحةً متدفقة، ويضربُ في الآفاق ، وكثير المغامرات ، ولذلك يحسُّ بالتعب أحيانًا ، ويراه الناس في متاعب ومشاق ، ولكنه لا يبالي بكثرتها ولا بمعوقاتها ، لأنه مقتنع بهدفه ، طامحٌ نظره، مستعلٍ عزمُه، لا يخاف ولا يتردد ...! كما قال هو سابقًا : لحَى الله ذي الدّنْيا مُناخًا لراكبٍ...فكُلُّ بَعيدِ الهَمّ فيهَا مُعَذَّبُ.!

❋❋

❖ ومهما قصَّر به المال ، فإنه لا يتراجع ولا تخورُ قواه ، ومهما كان من شدائد فإنه لا يبالي بها بل ربما استحلاها واستطاب متاعبها...! وهكذا هم أربابُ الهمم العاليات، تنأى بهم المطامح ، وتشغلهم المطامع، ولا





يزالون في دأبٍ وحركة ، وشد وعزيمة، وشقاء ومعاناة، ...! لأن نفوسَـهم لا تطاوعهم على الراحة والخلود المعيشي، والسلام .

ــــــــــــ**ــــــــــــ





١٧/ المطالبُ المُهلكة:

وَمَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أَتَيتُها ** ثَبْتَ الجَنانِ كَأَنَّني لَم آتِها

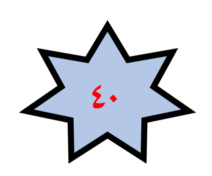
**

علت همتُه، واحتدّ عزمُه، حتى إنه ليغشى المهالكَ وهو ثابتُ الجَنان ، رابطُ الجأش، واثقُ الخطو، يتجاوزها بسهولة ، حتى كأنه لم يأتها ، ولم يمر بها...حيث استوى عنده الخطر بالأمان ، والشدة بالرخاء ، والضيق بالسعة...

**

❖ وتلك سمةٌ عليا لأهل الهمم، تجعلُ هممهم أقوياء بالله وبقدره، قد فطِنوا الحياة ودروسها، وفقهوا الأرزاق ونهايتها ، والآجال وخواتمها، فلم يضرهم شيءٌ ، أو يرهبهم مرهوب، أو يصرفهم صارف...

❖ وهذا يَصدقُ على أبطالِ الإسلام وشجعانه المغاوير أمثال : علي وخالد، والزبير وسعد، والمقداد وأبي دجانة، وسيد الأنصار وأسامة رضي الله





عنهم أجمعين. وقد تخرجوا كلهم من مدرسة رسول الله عليه وسلم الشجاع العالي الهمة، يقول علي رضي الله عنه :" كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ". والله الموفق .

**





١٨/ الأوقات الضيقة:

فَتًى يَشْتَهِي طُولَ البلادِ وَوَقْتُهُ ** تَضِيقُ بِهِ أوْقاتُهُ وَالمَقَاصِدُ

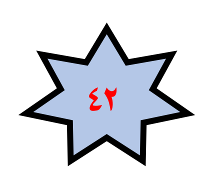
لا يزالُ يذرعُ الدنيا عزمًا وبطولةً وشموخا ، محبًا للرحلة والترحال، وطالبًا للمعالي ، ولكن وقتَه يضيقُ عن إدراك شأو همته، وعزماته الفائقة ، فبرغم شهيته الوسيعة، وطموحه البليغ ، إلا أنّ المقاصد يضيقُ بها الزمان ، ولا يستوعب كل قدراته وأمانيه لكثرتها وتعددها...!

**

❖ وإنما ضاقت أوقاتهُ لعظمة ما يحملُ في النفس من توهجٍ عجيب، وارتقاء عالٍ، وعزيمة متدفقة، وهمة سامقة، جعلت الزمان عنده ضيقًا ، لا يكاد يحتمل إصراره ، وتنوعه وطموحه، وهذا من أبلغِ التصاوير لشخصيات الأبطال، وأصحاب العزمات الفذة...

❖ وفي السفر متاعب، وفي السير عذاب، ومع الدابة شقاء، ولكنه يقهر ذلك بشغفه للمعالي ، ورغباته الصاعدة، وأمانيه المتطلعة ، والسلام .







١٩/ السيرُ الأنيق:

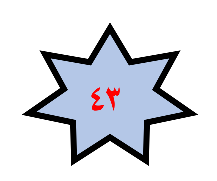
فسِرْتُ إليكَ في طَلَبِ المَعالي ** وسارَ سِوايَ في طَلَبِ المَعاشِ

______**______

إنَّما طابَ سيرُه، وحسُنت رحلتُه لأنه يبتغي المعالي ، ويرجو النفائس ، خلافًا لغيره الذين لا هم لهم إلا طلبُ المعاش ، واللذة المترفة، والموائد المتزاحمة..! أما أنا فجيئتي لك مجدٌ مكسوب ، وفخارٌ مغتنم، ومنازلُ سامية أنيقة... فكيفَ أُساوى بهم...

______**______

❖ وأكدَ ذلك للممدوح وأنه حريصٌ كلَّ الحرص، جادٌ في الطلب بقوله: وما وُجِدَ اشتِياقٌ كاشْتِياقي... ولا عُرِفَ انكِماشٌ كانكماشِي.. فشوقي ملتهبٌ، وانكماشي وجدي ليس له حدود .. ومثل ذلك يُسارعُ فيه ويُلتمسُ ، ولو حالت دونه معوقاتٌ ، أو قامت صروفٌ وبلايا..





❖ ولا تزينُ الحياةُ إلا بطلبِ الجد ، والعيشِ بهدف ، وقصد رسالة ، وقد جلَّاها لنا الإسلام ، وحبّب الينا معاليَ الأمور ، ومكارم الخصال، وحذرنا السفسافَ والتوافه، والمبالغة في خضراء الدنيا وملاهيها ..

ـــــــــ❊❊ـــــــــ





٢٠/ امتطاءُ المشقة :

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ ** الجودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ

________**________

الحياةُ لا يقومُ قوامَها إلا بامتطاء المشقة، وركوبِ الصعاب ، وهي جوهرُ علو الهمة، ومَضاءِ العزيمة، ولذلك تجعلُ الجواد يقل ماله وقد يفتقر، والمجاهد يرتكب الأهوال ، وقد تفضي به الى الشهادة والتصرع ، ولكنهم كتبوا في سجل الشرف...

________**________

❖ ولذلك بقيت السيادةُ عزيزةً لا يرتجيها إلا فاعلٌ مقدام، جسور وثاب ، قد أرخصَ روحَه وماله ، وبذلَ ثروتَه وملاذه، وتحملَ الشدائد والمشاق .. وقد قال قبلها : لا يُدرِكُ المَجدَ إلاّ سَيّدٌ فَطِنٌ... لِمَا يَشُقُّ عَلى السّاداتِ فَعّالُ... وما اعتذرَ عنه السادات تجاسر عليه ، وأقبل وكله هم وعزمٌ ، وتوكل وإنجاز..





❖ لا يكاد يعتذر ، أو يحاول الفرار ، أو يعيش على هامش الحياة ، وجنباتها الخميلة..! لأن همته تتنافى مع ذلك كله، والسلام...

ـــــــــــ❋❋ـــــــــــ



٢١/ كبرُ النفوس :

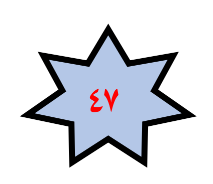
وإذا كانَـتِ النّفُـوسُ كِبـاراً ** تَعِبَـتْ في مُرادِهـا الأجْسـامُ

ـــــــــــــــــــ

وهي إنما تكبرُ بفضل همةٍ اشتعلت ، وعزيمة عولجت، فوعت سبيلها وأدركت رسالتها ، فسارت سيرَ الرياح بلا حسبان، وانطلقت انطلاق الغيث بلا ترسل، حتى أنهكت صاحبها ، وأضرّت بجسمه ، ولكنها تستروح ذلك، وتتعشق نهايته ومستقبله ..! فتكبرُ الهمم، لتتعب الأجسام ، ولكن عاقبة أمرها حسنا ، وستلعقُ شهدَ المعالي ، ورضابَ النجاح ..!

ـــــــــ**ـــــــــ

❖ فحينما ترى عاليَ الهمة لا يتوقف، ويُنهكُ جسده في كل الجهات التماسًا للمعالي ، فاعلم أنه في استلذاذٍ واستمتاع ، وكاره للضعة والجبن والتبعية ، ولا يزال دائبا طموحًا ، لا يلوي على شيء.





❖ والنفوس التي كبرت في الإسلام ، أحرزت نصر " بدر والقادسية واليرموك " ، وأنتجت كتبًا ضخمة " كالصحيحين والمسند والمغني والفتح وزاد المعاد ... وحينما تطالعها تندهش وتعتقد أن بعضها أساطير، لولا أنه دُوِّنت وحفظت، رحمهم الله ... والسلام ...!

________❋❋________



٢٢/ نقصُ القادرين :

وَلم أرَ في عُيُوبِ النّاسِ شَيْئًا ** كَنَقصِ القادِرينَ على التّمَامِ

**

أقبحُ شيءٍ في المرء نقصانُه على الدوام ، فلا عمل يكمله، ولا ذروة يتمها، ولا سعي يوفيه ، كالذي يقصر في وظيفته، قد اعتاد الترخص والانتقاص دائما ، فالأعمال يتلفها ، والكتب لا ينهيها، والجمائل لا يؤديها..،! وقد جعل من ديدنه التقصير والنقص ، وعدم الإتمام ... وقد قال هو في بيت رائق ساحر: وما كلُّ هاوٍ للجميل بفاعلٍ... ولا كلُّ فعال له بمُتممِ..!

**

❖ وما نقصَ القادرونَ على التمام إلا بسبب ضعفِ إيمانٍ ، وهوان همة، والتهاءٍ بزينة ، وانشغال بتفاهة.. وإلا لو فكروا ودققوا لوجدوا أن النفوس الطيبة تأبى الهوانَ والتقصير ..

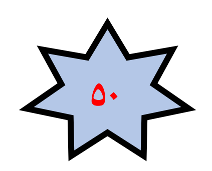
❖ والبيتُ حكمةٌ سيارةٌ، وهو موعظةٌ لكل كسول ، ومقصر ، ومتخاذلٍ، ومسوف ، وقد قال المصطفى الكريم :(إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ





أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ) وسنده جيد . واشتهر عَن الفاروق رضي الله عنه :أنه (كتبَ إلى عاملهِ... إلى أبي موسى الأشعري : أما بعد،فإن القوةَ في العمل أن لا تؤجلَ عمل اليوم إلى الغد، فإنكم إن فعلتم ذلك، تداركت عليكم الأعمالُ، فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم). والله الموفق .

ـــــــــ**ـــــــــ





٢٣/ إنفاذ العزم :

مَنْ لا تُوافِقهُ الحَياةُ وطِيبُها ** حتى يُوافِقَ عَزْمُهُ الإنْفَاذَا

______**______

ليسَ للحياةِ عنده قيمةٌ ولا ثمن، حتى يصيبَ منها عزمه، ويُنفذ مراده ، فهو لا يعرف الجبن ، ولا يتراجع إلى الوراء ، ودأبه التقدم والعمل والإنجاز...! وكيف يلتذّ بها من همته تسوقه، وعزيمته تحفزه، والمعالي تناديه ، والمراقي ترتقبه ..!

______**______

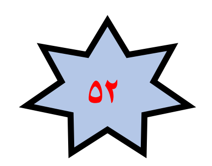
❖ وهذه صفاتُ الهمّام المحترق، والذي إذا عزم توكل، وإذا فعل أنجز ، وإذا التزم وفّى واستوفى ..!فهو لا يلتذّ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه ، فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء؛ قالوا : وهذا من قول الحكيم: " لا يجدُ طعمَ الحياة من لا يجدُ لشهوته درَكًا، ولا لأمره تصرفًا ". ومن حزمه أيضا قوله : مُتَعَوّداً لُبْسَ الدّروعِ يَخالها.... في البَرْدِ خَزّاً والهَواجِرِ لاذَا..





❖ وفي هـذا المعنـى إعـلاءٌ للهمـم ، وجحـدٌ لزينـة الـدنيا وحلاوتهـا ، وعـدم المبـالاة بهـا، وأنَّ المعـالي أثمـن مـن زهـراتٍ فانيـة، ومـلاذٍ باليـة ، والله الموفق.

ـــــــــــ❊❊ـــــــــــ





٢٤/ طموحات مختلفة :☐

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني ** وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

ـــــــــ**ـــــــــ

النفسُ الطموحُ لا تزالُ تضربُ في كل حدَبٍ بسهم، وتوغلُ في كل سرب بطاقة، ولا تملّ من تعدد المقاصد لاتساع همتها وارتقاء عزمها ، كما قال هنا في وصف طموحه الدفاق: الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني ...! يقول: الليل يعرفني لكثرة سُراي فيه وطول ترحالي ، والخيل تعرفني لتقدمي في فروسيتها وامتطائها، والبيداء تعرفني لمداومتي قطعها واستسهالي صعابها وقفارها، والسيف والرمح يشهدان بحذقي في الضرب بهما والشجاعة الساطعة، والقراطيس تشهد لإحاطتي بما فيها علما واطلاعًا ، والقلم معترفٌ بإبداعي فيما أقيده وأرسمه شعرًا .

ـــــــــ**ـــــــــ

❖ وما ذلك إلا بسبب علو همته ، وسموه في الحياة ، واتجاهه في كل ما يتهيبه الناسُ أو يقرون بفضله، فهو شجاعٌ مسفار، ورحالةٌ واعٍ، وأديبٌ



أحوذي ، يسجلُ ما يفوق ، ويكتبُ ما يروق .. وكل ما يلتمسُ فيه مجدٌ ومحمدة ، فهو له بالأشواق ، ومن المبادرين فيه ..

❖ وهذه ميادين المجد في الحياة، ومقومات النهضة المبتغاة ، شجاعة فاخرة، وعلم باهر، وما ذكر في البيتِ أدوات لها ، واختصرها في قوله المشهور : أعزّ مكانٍ في الدنا سرجُ سابحٍ... وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ..! وهما عنوانا المجد والنهوص كما نبهنا على ذلك سابقًا ، والسلام ...!

**



٢٥/همة فاتكة :

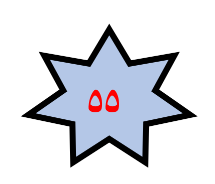
هذا الذي أفنى النُّضـارَ مَواهِبـًا ** وعِـداهُ قَـتْلاً والزّمـانَ تَجارِبَـا

**

بلغ من همته الفاتكة – الممدوح – أنه متنوعُ الجبهات ، فهو يُفني الذهب الذي هو النُّضار بالعطاء والبذل، والأعادي يفترسهم، والزمانُ قد خبَره ووعى دروسه، فقد حنكته التجاربُ ، وحذَقته المواقف ، فلا يكاد يُخدعُ أو يندهشُ أو يُستغفَل ...

**

❖ ولا يفعلُ ذلك إلا رجلٌ طامحُ الطرف ، عالي الهدف، سامي المقصِد، قد هانت الدنيا بين عينيه ، وتقصَّدَ أشرافَها وأعاليها..! ولذلك ادخرها للبذل المالي ، والإقدام الفاني ، يترفعُ على الدنيا بكسب الناس بها فيمنحهم إياها ، ويسحقُ أعداءه في المعركة بإفنائهم . فجناحاه خَلتان الكرم والشجاعة .





❖ ويكتنفها الحكمةُ ، وفقهُ تجاريب الحياة ووعي دروسِها ، فيتعلم من الزمان ومن سننه ونوانيسه ومواقفه، فلا يكرر أخطاءه ، ويتعلم من عبره ووقائعه ، حتى غلب بها خصومه، وزكا عقله واتجاهه ، والسلام .

ـــــــــــــ❊❊ـــــــــــــ





٢٦/ روحُ الضيغم:

أيَا أسَداً في جِسْمِهِ رُوحُ ضَيغَمٍ ** وَكَمْ أُسُدٍ أرْوَاحُهُنّ كِلابُ

**

ثمةَ جسومٌ في أرواحها أخلاقُ الضيغم ، تتعففُ عن المساوىء ولا تأكلُ الجيف ، ولا من فتات الآخرين ، فيشيد بممدوحه إنك كالأسد قوةً وبطشًا، وهمتك همة الأسود، والأسد موصوف بعلو الهمة، فهو لا يأكل من فريسة غيره ، ويراعي هيبته ومكانته . كما قال الشاعر :

**

وَكَانُوا كَأَنْفِ اللَّيْثِ لَا شَمَّ مَرْغَمًا ** وَلَا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى يُعَفِّرَا

أي إنه لا يطعم إلا مما صاده بنفسه. خلافًا لغيره من المتعاظمين وأراد ما عداه من العظماء : وكم من مستأسدٍ دنِيء النفس ساقط الهمة؛ يشبه الأسد في قوة بطشه، ولكن روحه روح كلب، لا همةٌ ولا مرتبة .

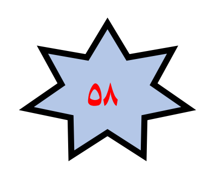
**





❖ والناسُ في قسمته : آسادٌ ذات معدن وروح سامية ، وأشباه الآساد ، لا قيمةَ ولا همة ولا اعتداد ذاتي ، بصدقِ معادنهم ، وطيبِ أخلاقهم ، وتتشابه بالكلاب في التقاط الجيف، والوقيعة على المستقذرات ، والتهام صبابات الآخرين ...!

**





٢٧/ شقّ الهلاك:

وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبي لَهُ ** يَشُقُّ إلى العِزِّ قَلْبَ التَّوَى

——**——

من نعمةِ الله عليه، أنه يملك قلبًا قويًا صبورًا ، يتحدى الأرزاء ، ويخوض الغمرات ، فهو يشق دروب التوى وهو الهلاك، ليصيب العز، والمنازلَ الفاضلة...! يشق إلى العز قلب التوى..! يعني : ومن له قلبٌ كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك، ويخوض شدائده حتى يصل إلى العز، وينال المراد .

——**——

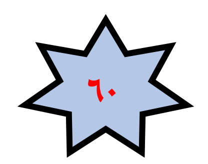
❖ ثم يؤكدُ أنّ قيمتَك وقدرك في الحياة ، على حسب طول همتك واتساعها ...وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الفَتَى.. على قَدَرِ الرِّجْلِ فيه الخُطَى.. فكلما اتسعت الهمةُ، اتسعت الخطى ، وعظُمت المهام، واستغرقَ بها الزمان..





❖ والوفاء بذلك عزيز ، وقد يتغير عند بعض الناس ولكنه لا يتغير عند أهله وطلابه ، ولذلك قال معرّضًا لهم : وَمَا كُلّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى... وَلا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفًا أبَى...وكأن الوفاءَ خاصٌ بعلاة الهمم ، وصُدُق العزائم ، فهم من إذا قالوا وفَوا، وإذا سيموا أبوا، وإذا ابتلوا قاوموا ، والسلام ...

**





٢٨/ تهوينُ العوالي:

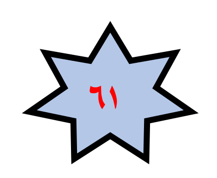
يَهونُ عَلى مِثلي إِذا رامَ حاجَةً ** وُقوعُ العَوالي دونَها وَالقَواضِبِ

ـــــــــــ**ـــــــــــ

إذا عنَّت له حاجةٌ ، لم تحل دون همتهِ وقصدهِ تلويحُ العوالي والسيوف ، لأنه عظيمُ القصد، عالي الهمة، يسعى إلى رسالته وتحقيقها ، ولو كلفه ذلك أثمانٌ باهضة ..! فلا سيوفٌ تمنع ، ولا رماح تصدُّ...! بل سيفُ همته، ورماحُ عزيمته تتكسرُ عليها كلُّ الشدائدِ والتحديات ، لأنه مقتنعُ الهدف ، ثبتُ الجَنان ، عميقُ التوكل على خالقه ..!

ـــــــــــ**ـــــــــــ

❖ ومن توكل على خالقه كفاه ، وأعانه وسدده ، ولذلك لا قيمةَ لمعوقٍ صاد، ولا حاجزٍ واقع ...! فيقول : مثلي إذا طلب حاجةً لم يبالِ أن يكون دون الوصول إليها رماحٌ وسيوف ، يعني يتوصل إليها وإن كان دونها حروبٌ وأهوال ،...





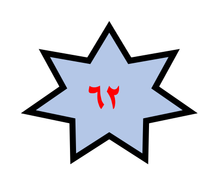
❖ وفي ذلكَ من علو الهمة والتهاب العزيمة ما لا يخفى ، فهي نعمةٌ من الله تعالى على مَنْ وُفق لها، وأصابَ من نعمائها، لأنها تعني الإقدام ، والظفرَ بالمنال، وجني الإنجازات، وحيازة المعالي والمكاسب ، .. ثم يؤكد تلك الهمة بقوله :

كَثيرُ حَياةِ المَرءِ مِثلُ قَليلِها ** يَزولُ وَباقي عَيشِهِ مِثلُ ذاهِبِ

إِلَيكِ فَإِنّي لَستُ مِمَّن إِذا اِتَّقى ** عِضاضَ الأَفاعي نامَ فَوقَ العَقارِبِ

❖ يقول: إن طول العمر وقصره سيان؛ لأن نهاية كل منهما الزوال، فلست ممن إذا تخوفَ عظيمةً صبر على مذلة وهوان، فشبّه الأفاعي بالعظيمة ، والعقارب بالذل، ..! والسلام .

**





٢٩/ الضيق بالعيش:□

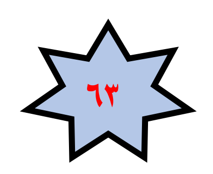
أيـنَ فَضْـلي إذا قَنِعْـتُ مـنَ الدّهْـ ❋❋ ـرِ بعَـيْشٍ مُعَجَّـلِ التّنكيـدِ

ـــــــ❋❋ـــــــ

فهو لعلوِّ همتِه وأنفَتِه ، يرفضُ العيشَ الناكد ، والنعيمَ الذليل... فلا قيمةَ له ولا معنى لعيش منكد، محرومِ البركة والعزة والخيرية ... يقول: إذا قنعتُ من الدهر بعيش قد عُجِّل لي نكده وأبطأ على خيره وفضله، فأين فضلي؟ يعني إذن لا فضل لي، فكأنه قد خفي فليس يرى. ..

ـــــــ❋❋ـــــــ

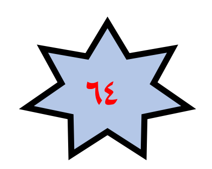
❖ ثم قال في البيت الآخر : لقد تعبتُ في طلب الرزق، وتنوعـت مقاصـدي ، ولـم أحصل من ذلك بطائـل، ومـن ثـم ضـاق صـدري لكثـرة مـا نصبت، وطال سفري وقلَّ قعودي عن السفر ... ضـاقَ صَـدري وطـالَ في طَلَـبِ الـرّزْقِ ...قيامي وَقَلّ عَنهُ قُعُودِي...





❖ ومع ذلك فإنه لن يدبَّ في اليأس ، أو يعتريني الخمولُ والنصب، فلا نزال سائرين في حياتنا، نطلبها ولا تطلبنا ، ونركض وراءها ، ولو ردتنا، فكـذا هي طبيعتها، وطريقة تكوينها ..!

ــــــــــــــ❋❋ــــــــــــــ





٣٠/ قطعُ البلاد :

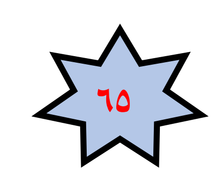
أبَـداً أقْطَـعُ الـبِلادَ وَنَجْمـي ****** في نُحُـوسٍ وَهِمّتـي في سُـعُودِ

**

لا يقطعُ البلادَ، إلا عالي الإرادة ، عظيم الهم ، لا يتهيب الأسفار ، ولا يخشى الترحال ... أبداً أقطع البلاد ونجمي... فكأنني لستُ موفقا ، ولا محظوظا ، ومحدود الفرص، وضيق الأرزاق ، مع أنَّ الهمة في صعود، والعزم في سعود، ولكني منحوس الحظ ، مكدر الرزق....!

**

❖ فيقول: إنه طموحٌ، بعيد الهمة دائـبُ السعي ، وإن قـلَّ حظُه من الـرزق، فالحياة ملأى بالنفائس والعجائب والمكدرات .. كما قال أبو تمام :همةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ.. آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ..! وقال الآخر : وَلِـي هِمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ... وَلَكِنَّ حَالِيَ تَحْتَ الثَّرَى.. فَلَوْ سَاعَدَتْ هِمَّتِي حَالَتِي... لَكُنْتَ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ ترى...





❖ وهنا درس مهم في الإيمان بالقدر(وكان أمر الله قدرًا مقدورا) سورة الأحزاب . فالله قدر كل شيءٍ كونًا ، وكتب أرزاقنا وأعمالَنا ، ولكنه وهبنا إرادةً وعقلا وسعيًا ، وصحّ حديث :(اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلقَ له).

وقال في القرآن:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) سورة الملك .

❖ ولما علم أن التقديرَ إلى اللهِ ، وكلَّ الأمور إليه ،عاد وختم الفكرة النحسة الضيقة ، بالتعلق بالله والشكاية إليه: وَلَعَلّي مُؤمّلٌ بَعْضَ مَا أَبْلُغُ ... باللّطْفِ من عَزيزٍ حَميدِ..! يقول: لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغني فوقَ ما أرجو، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه. أو تقول: إن الكلام على القلب: أي لعلي بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه.

واللهُ الموفق .

**





٣١/ العيشُ العزيز:

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ ** بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ

___**___

العيشُ العزيز، عيشٌ محمولٌ على الشمم والإباء، والهمة المتصاعدة وصفات الأحرار، وله صور : رفض حياة المذلة ، أو البقاء في مستنقع الهوانَ ، والضرب في الآفاق سفرا وهمةً وارتزاقا واستعلاء ، ومنها : خوض المعارك، فإما النصر أو الشهادة ، بين طعن القنا والسيوف ، أو حركة الرايات وهي البنود..! كما قال القائل:

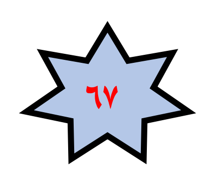
___**___

سأحمل روحي على راحتي ** وألقي بها في مهاوي الردى

فإمّا حياة تسرّ الصديق ** وإمّا مماتٌ يغيظ العدى

ونفسُ الشريف لها غايتان ** ورود المنايا ونيلُ المنى

❖ ومن العيشِ العزيز : أن لا تسأل الناسَ شيئًا ، والتعفف عما في أيديهم ، والعصامية في الحياةِ ،والتقلل من الدنيا ، والتطلع إلى ما عند الله قال في



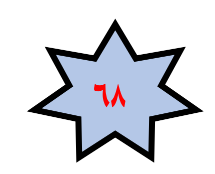


الحديث : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ) .

❖ قال النووي رحمه الله : " والمرادُ بالقوة هنا عزيمةُ النفس والقريحة في أمور الآخرة ، فيكون صاحبُ هذا الوصف أكثرَ إقداما على العدو في الجهاد ، وأسرعَ خروجا إليه ، وذهابا في طلبه ، وأشدَّ عزيمة في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى في كل ذلك ، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلبا لها ، ومحافظة عليها ، ونحو ذلك " .

❖ وقد ختم السياقَ المنتفض بالهمة والشجاعة بقوله : لا كَما قد حَيِيتَ غيرَ حَميدٍ...! وإذا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقيدِ ...! والمعنى : عش عزيزًا أو مت في الحرب كريمًا، ولا تعش كما عشتَ الآن ، ذميمًا لا تستطيع أن تملكَ الناس فيحمدوك، فإذا أنت مت ، وجدوا مثلك كثيرًا فلا يفتقدونك ولا يكترثون لموتك؛ لأنهم إنما يطمحون لمن له إقدام وشجاعة وأفاعيل ومفاخر . والسلام .

***





٣٢/ أهلُ العزم:

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ ** وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

ــــــــــــــ

إنما عظُمت عزائمُ بعضِ الناس بسبب عظمةِ أهلها ، وصدقِ مبادئهم ، وطيبِ معادنهم، ولذلك جاءت آثارُهم عظيمةً، وغراسُهم فعالةً، بسبب ما يحملون من صفات الهمة والوهج والتحدي .... على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ...! يقول: إن العزائم إنما تكونُ على قدر أصحاب العزم، فمن كان كبيرَ الهمة قوي العزم ، كان الأمرُ الذي يعزم عليه عظيمًا، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها: فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم، والمعنى أن الرجالَ قوالبُ الأحوال، فإذا صغُروا صغرت، وإذا كبروا كبرت .....!

ـــــــ**ـــــــ

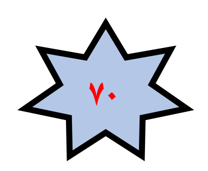
❖ ومن جراءِ هممِهم وحُسن تربيتِهم، وتطلعهم الطامح، لا يغريهم ذلك العمل، ولا تلك العظائمُ ويعُدونها ضربًا من صغائر الأمور ، لارتقائهم



وطموحِهم العالي... كما قال : وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها... وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ...! يقول: إن صغارَ الأمور عظيمة في عين الصغير القدر؛ لانحطاطِ همته، وقصرِ نظره ، وعظامَها صغيرةٌ في عين العظيم القدر؛ لأن في همته علوًا وسموًا، فهو لا يرتضي الصغائر ، ويضيقُ بالأسافل..! يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة، وما فعل في وقعة "الحدث" من قتال وبناء وجسارة .

❖ ومادةُ العزم أنفةٌ قاهرة ، وسمو عال، وثقافة عزيزة، وطموح لا حد له، وترفع عن السفساف ومهاوي الهوان .. قال تعالى : (خذوا ما آتيناكم بقوة) سورة البقرة والأعراف. وحينها لن ترضى النفس إلا بمعالي وعزائم الأبطال ، والله الموفق .

**





٣٣/ الطّلابُ النافذ:

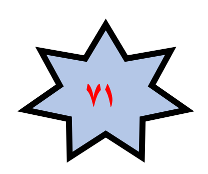
ما كلُّ مَنْ طَلَبَ المَعالي نافِذاً ** فيها ولا كُلّ الرّجالِ فُحُولاَ

**

المعالي لها رجالُها وطلابُها ، وقد تهونُ لبعضهم وقد تنسدُّ على آخرين لم يوفقوا، أو قصَّرت شروطُهم عن معوقاتها ، فتأخرَ الفتحُ، ونأى النجاحُ والبلوغ ...! كما قال هنا مجليًا : ولا كل الرجال فحولا..! فكما تنسد المعالي لظروفٍ محددة، كذلك ليس كلُّ الرجال يوفون بمقتضيات الرجولة، أو شروط الفحولة ، وإلا لما استُضعف الكريم ، وأهينَ الشجاعُ، وتسلطَ الغازي والمحتل على الشعوب المستضعفة ، وهي ذاتُ دين وكرم وشهامة..

**

❖ فالبلوغُ والطِّلابُ النافذ له شرطه ومقدماته ومنها: سؤالُ الله التوفيق، وإيفاءُ الشروط القائمة من الإصرار والمواصلة، والتهاب الهمة ، وإرغام التحديات ، وتركُ التراجع، وردع المخذلين ، واشتهاء

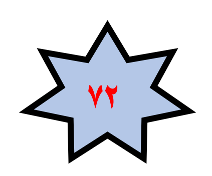




النفـائس ، والتلـذذ بالنجـاح ، وعـدم التسـويف والتأجيـل ، وهجـر الملاهي..(فإذا عزمت فتوكل على الله) سورة آل عمران .

❖ علمًا أن بعضَهم قـد يستكملُ الشـروطَ المطلوبة، ولكنـه يُحـرمُ التوفيـقَ والسداد من اللهِ ، فيذهب جهدُه سُدى ، وسعيه هباءً، ولكن تُحفظ مكانته من السعي، وتحسبُ همته في المحاولـة، ويسجلُ رصيده مـن الطلـب والرغبة ، ومواجهـة العوائـق ..! ولـذلك كـان المـؤمنُ مطالبًا في الحيـاة الإسلامية بالدعاء والصلاة وسؤال الله الفتح والتوفيق، خلافًا لأهل الدنيا ومـن قـلّ ديـنُهم، فقـد تكـونُ هـذه ملغـاةً مـن تفكيـرهم ، ولـو سـمت هممهم...

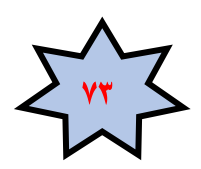
❖ ومـن الطريـفِ الجميـل في السـنة وقـد ارتـبط المـؤمنُ بالـذكر حـديث سليمان عليه السلام في الصحيحين ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضـي الله عنه قَـالَ : قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْـرَأَةٍ، تَلِـدُ كُـلُّ امْرَأَةٍ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَلَمْ يَقُـلْ





وَنَسِيَ، فَأَطَافَ بِهِنَّ وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللهُ. لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ ". والله الموفق .

❊❊





٣٤/ إرادة وشرط:

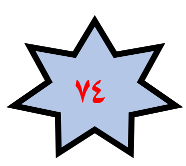
تُريدينَ لُقيـانَ المَعَـالي رَخيصَـة ** وَلا بُدّ دونَ الشّهدِ من إبَرِ النّحلِ

ـــــــــ**ـــــــــ

كلٌّ يتمنى المعالي ، ويطمعُ في نفائسِ الأمور ، ولكن التمني لا ينفعُ وحده، والإرادةَ لا ترتوي دونَ شرطها وأساسها ، وهو التحملُ والإصرار ، وتجاوزُ شدة الطريق وإبرُ النحل، وعسرُ المنال... ولابد دون الشَّهد من إبر النحلِ.. فكما أنّ شهدَ العسل لا يُجتنى إلا عبر لسعات النحلِ ، واحتمال مرارتهن، كذلك المعالي من مجدٍ وعلمٍ وتفوق، ودرجات ، لا تُرتقى إلا بحقها وشرطها...

ـــــــــ**ـــــــــ

❖ وفي هذا دليلٌ على أنّ المعالي ليست رخيصةً، ولا هينةَ المراد ، وليست متاحةً لكل طالب وراغب ... وإلا تساوى الجميعُ ، وازدحم عليها الشجعان والجبناء كما قال في البيت المشهور وقد تقدم : لولا المشقةُ ساد الناسُ كلهمُ... الجودُ يفقرُ والإقدام قتالُ...





❖ فالفرقانُ بين الناس في دنياهم هو المشقةُ واحتمالها ، والشدائدُ والصبرُ عليها، والرزايا والتعاقُها ، ولذلك قال عليه الصلاةُ والسلام في الحديث الصحيح :(ومن يتصبرْ يصبّره الله). واشتهرَ عن الفاروق رضي الله عنه:(أدركنا أطيبَ عيشنا بالصبر). وحتى من يقتاتُ لنفسه كل يوم ، تجده لا يحصل رزقه إلا بعد كدٍّ وتعب، فالمعالي أولى في ذلك وآكدُ، والله الموفق .

**





٣٥/ العُلا البعيد :

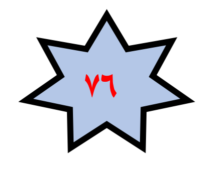
ذَريني أَنَلْ ما لا يُنَالُ مِنَ العلا ** فصَعْبُ العلا في الصّعب وَالسهلُ في السهلِ

❊❊

ثمّةَ معالٍ نِيلتْ وأخرى لم تُنل بعدُ، وهي التي أطمحُ لها، وأسعى لامتطاء مشاقِها ، فما للصعاب إلا صعبُ المراس، وما للسهل إلا مستسهلُ الحياةِ، وهي التي لا تكلفُ تعبًا، ولا تُحمِّل نصبًا..! فصعبُ العلا في الصعب والسهلُ في السهلِ..! وكذلك هم أربابُ الهمم العالية يطلبون معالي نادرة ، ونفائسَ غير معهودة ، ولا يكررون مجهودات الآخرين...

❊❊

❖ والحياةُ مع تنوعها واتساعها، وكثرة من عزّ فيها وتعزز، لا تزال فيها منافذُ للإنجاز ، ومساراتٌ للتفوق والإبداع ، كما قال المَعري: وإني وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه.... لاتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ...





❖ ومن كان ذا همةٍ وطموح سامٍ، لا يرتضي إلا مصاعبَ المعالي ، وشدائد الشوارد، بحيث يُعاني في طلبها، ويأتي بالجديد والمفيد .. ومن هنا تميز من تميز من الفرسان والعلماء والحكماء، وأحدثوا أشياء مبتكرة في تراثهم، ولا زلنا نستلهم من ذلك التراث ونستفيدُ منهم حِكمًا وخبرةً وعلومًا... والسلام .

**



٣٦/ الافتخارُ الحقيقي :

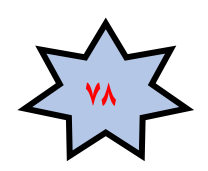
لا افْتِخارٌ إلاّ لمَنْ لا يُضامُ ** مُدْرِكٍ أوْ مُحارِبٍ لا يَنَامُ

ـــــــــ**ـــــــــ

إنما الفخارُ الحقيقي لمن يدفع الظلم، ولا يرضى بالضيم والسببُ على همته وحزمه في الأمور ، او مجاهد يبني مجدا ، أو يقهر عدوًا وخصمًا ، لا يعرف المنام ، ويكره السآمة والملل .. ثم يفسر ذلك الفخار والعزم الحاد بقوله: لَيسَ عَزْمـًا مَا مَرّضَ المَرْءُ فيهِ.. لَيسَ هَمّـًا ما عاقَ عنهُ الظّلامُ...!

يقول: لا يعد عزمًا ما قصرَ الإنسان فيه؛ وتمايل عن نيله ، إذ العازمُ على الشيء لا يقصر فيه ولا يتراجع عن مطلوبه، ولا يعد همة ما حال الظلام دون طلبه؛ لأن ذا الهمة العالية لا يعوقه دون إدراك طلبته شيء، لا ليل ولا عدو ولا أشغال ...

ـــــــــ**ـــــــــ





❖ ثم يتجلَّى معه ذلك العزمُ وتلك الهمةُ الفخورة، واستنكاره حياةَ المذلة ومن يقاربها : ذَلّ مَنْ يَغْبِطُ الذّليل بعَيشٍ... رُبّ عَيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمامُ...! يقول: من عاش في ذل فليس له عيش يغبط عليه، ومن غبطه على ذلك العيش الذليل فهو ذليل مثله ؛ لأن الموتَ في العز أخف من العيش في الذل. قال العكبري: وهذا من قول الحكيم: إذا لم تتصرف النفوس في شهواتها ومرادها، فحياتها موت، ووجودها عدم...

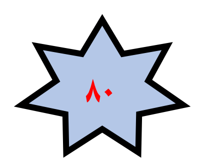
❖ ثم يشرحُ ذلك متضايقًا من ذلك المسلك ، متأسفًا على حال دنيء الهمة...: مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ..ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ...! فلولا انحطاطُ همته، وضعف داخله وطموحه، ماانتهى حاله إلى ذلك التردي المهين، والعاقبة الأليمة . .. ثم يكشف عن همته هو وصبره على شدائد الزمان برغم الذي يجري، وتطالُه به الأيام: ضاقَ ذَرْعًا بأنْ أضيقَ بهِ ذَرْعًا .. زَماني واستكرَمَتْني الكِرامُ..! يقول: عجز الزمان عن أن يدخل عليَّ أمرًا لا أحتمله؛ أي لست أضيق بالزمان ذرعًا وإن كثرت ذنوبُه وإساءاته إليَّ.





ثم قال: واستكرمتني الكرام؛ أي وجدني الكرام كريمًا صبورًا على نوائب الدهر غير جَزوع ولا متبرم ، ومن قولهم: استكرمت فاربط؛ أي وجدت كريمًا فتمسك به.... والسلام..

———❊❊———





٣٧/ قدرُ النفس:

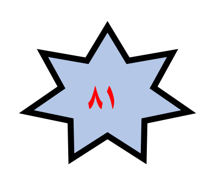
واقِفـًا تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفسي ** واقِفـًا تحتَ أخْمَصَيّ الأنَامُ

**

قدرُ النفسِ في علوِّ همتِها وافتخارِها العالي كما تقدم، وعدمِ رضاها بالهوان .. ولكن هذه القصيدةَ تنوعت فيها أبيات الهمة والأنفة العالية، ففصلناها عن السابق ...! واقِفـًا تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفسي.. واقِفـًا تحتَ أخْمَصَيّ الأنَامُ...! يقول: إنه قد وقف تحت أخمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أخمصيه. يعني أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته؛ لأنها تقتضي ما هو أسمى من ذلك...

**

❖ وحينما تستشعرُ علوَّ الهمة، وتربّي نفسَك على العمل الجاد والارتقاء الفخم ، وليس الزهوَ الكاذب، فإنك تصيب ما ترجو ، وتحقق ما تنال، كما حققها هو في اكتسابه المعالي، وحققها الممدوح الجواد، الباذل في

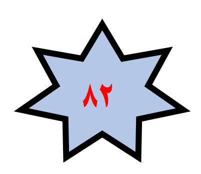




كل نطاق، والراحل الضارب في كل عدو، حتى مدح همته بقوله بعدَ أبيات : هِمَمٌ بَلّغَتْكُمُ رُتبَاتٍ.. قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِها الأوْهامُ...

❖ وهذا هو غرسُ الهمة إذا اكتملت ونضجَت تبلغُ صاحبَها المراتب ، وتُنيلهُ المنازل ، ولا تزال تجعله رمزًا وقدوةً عند الأجيال ، تُتحفظ كلماته ، وتُسجلُّ مواقفُه، ويستشهدُ بتجاربه .. ولما كانت تلك الرتبُ عالياتٍ قصرت عنها الأوهام لعلوها وندرتها ، والسلام....

**





٣٨/ فِعالُ العلا:

في سَـبيلِ العـلا قِتالُـكَ والسّلْــمُ ** وهــذا المُقــامُ والإجْــذامُ

**

تصوَّر أنّ بعضَ الشخصيات المستَعِرة جدًا وطِلابا ، غالبُ فعالها علوٌ وهمة واستعلاءٌ، لا ترضى بالراحة ولا النوم، ولا الدعةِ والغفلات.. يقول : إن أفعالَك كلَّها مقصورة على العلا؛ قاتلت أو سالمت، أقمت أو سرت، فقصدك في جميع ذلك طلب العلا...! قعودُك ومقامك، ووقارك وسراعك وهو الإجذام هنا، كله في مجال العلا، ونيل المراقي ، وتلك طبيعة النفوس العلية، والأرواح الأبية .

**

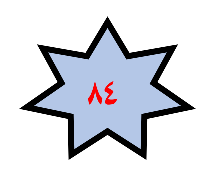
❖ ثم يؤكدُ عـلَاءه وجِـلاده فيقـول: كُـلَّ يَـوْمٍ لـكَ احْتِمـالٌ جَديـدٌ... ومَسـيرٌ للمَجْدِ فيهِ مُقامُ..! يقول: يحدث لك كل يوم سفر جديد، وترحال سـحيق ، وذلك آية بُعد الهمة، وسموّ العزمة ، كما قال تأبط شرًّا: كثيرُ الهوَى شَتَّى النوى والمسالكِ..،! فيمدحه بالهمة المتجلدة : وفي كل يوم لك سير يقيم



المجد عندك في ذلك السير؛ لأن ذلك السير لطلب المجد، أو لأنَّ المجدَ مقيم معك حيثما كنت، كما قال أبو تمام: كلما زرتَه وجَدْتَ لديه... نَشبًا ظاعِنًا ومجدًّا مُقيما..

❖ ومثلُ هؤلاء لا يهدأ له بال، ولا يقر لهم قرار، ولا يَطيبُ لهم عيشٌ إلا في امتطاءِ العزَمات، والتماس ذروة المعالي ، وتحقيقِ الكمالات ..! قد عفَّت عن كل قعودٍ رخيص، أو معيشٍ رهيف، وملذاتها في النصب والترحال المنيف، والسلام ..

**





٣٩/ تحدّي الزمان :

ولو بَرَزَ الزّمانُ إليّ شَخصـًا ** لخَضّبَ شعْرَ مَفرِقِهِ حُسامي

_______**_______

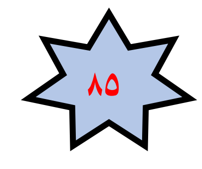
تحدّي الزمان من علوِّ همته ومكابدتهِ نكبات الدهر ، وعدم رضوخه ..

يقول: إن الزمانَ الذي هو محلُّ النكبات والنوائب لو كان شخصًا ثم برز إلي محاربًا لخضب شعر رأسه سيفي، لأنني لا أعترفُ بالضعف ، ولا أقر بالهزيمة مهما كانت العاديات ، أو التهبت الرزايا...

_______**_______

❖ وهكذا هي حقيقةُ الزمان لا يلوي على أحد ، متقلبٍ فوّار، يُسر ويُحزنُ، ويُضيّق ويَنفرج ، وهو مع كل ذلك لا يستسلم لمضايقه ، ولو برز له مقاتلًا لواجهه ، واستعد للمبارزة ..

❖ ويقصدُ ببروزهِ أشكالَ مصائبه ونوائبه، التي هي من طبيعة الزمان ، وأسرار الدنيا، كما قال لبيد : أَتجزَعُ مِمّا أَحدَثَ الدَهرُ بِالفَتى... وَأَيُّ كَريمٍ لَم تُصِبهُ القَوارِعُ..! وأنَّ ذا الهمة الجسور ، لا يضعفُ ولا يفرُّ ، ولا يتهربُ





وينسحب ..،! ويؤكد تلك الهمة الملتهبة المتحدية، فيقول : وما بَلَغَتْ مَشيئَتَها اللّيالي... ولا سَارَتْ وفي يَدِها زِمَامي... يقول: إن الزمان لم يبلغ مراده مني، ومن تغيير حالي وتوهين أمري، وما انقدت له انقياد من يعطي زمامه فيقاد به... بل بقيتُ مجاهدًا له ، وصابرا على بلواه، ومثابراً في طلب مناي ومقاصدي..،! والسلام ...

تم خفق البنود ، من شعرِ الهمة والصعود ،
ولله الحمدُ والمنة

